حول مدة حضانة الولد

بقلم : الاستاذ كاظم معله الحامي

الحضانة شرعاً تربية الولد والقيام بشؤونه في سن معينة ممن له الحق في تربيته من محارمه (١) وأحق الناس بحضانة الطفل محارمه من النساء ، والام احق المحارم بحضانة ولدها وارضاعه ذكراً كان أو انثى ومدة الرضاعة حولان كاملان وبانتهائها يكون للأم الحق بتنشئة البنت حتى السنة السابعة من عمرها [وبعض المذاهب تقول حتى السنة التاسعة] والأب أحق بتنشئة ابنه بعد السنتين حتى بلوغه [وقد تقول بعض المذاهب بحق ذلك للأب بعد السنة السابعة] وتعليل ذلك كما يقال ان الرجل أقدر على تربية ابنه من الأم والأم أقدر من الأب على تربية ابنتها حتى السنة السابعة [والتاسعة على الرأي الثاني] وبعدها يكون الأب أحق بها كذلك .

وكلمتي هذه حول مدة حضانة الولد (الذكر) على رأي من يقول انها تنتهي بالسنتين وهل هي كافية لاستغنائه عن امه التي تحرق نفسها في سبيله ، لا ، انها غير كافية تماما لفصل الصغير عن امه وحرمانه من حنانها لان القسم الكبير من الأطفال لا يكتفي بالرضاعة مدة السنتين لاسباب طارئة والذي يكتفي بمدة السنتين لا يمكن فصله عن امه بعد انتهائها مباشرة لأن الفطم في مدة الفطام غالباً ما يتعرض لامراض كثيرة بحيث لا تتمكن امرأة اجنبية عنه أن تتعهد تربيته كما يجب .

هذا وإن مدة السنتين قد لا تراعى تماما لأنه اذا اختلف الأب والأم في تقدير سن الطفل المحكين يرجع الى الطبيب لمعرفة عمره تقريباً ، وهذا تقريره عرضه للغلط وعدم المعرفة والتأثير فيزيد وينقص في عمره والمحكمة تستند الى قراره وتحكم .

والآن أضع امام القارئ الكريم ، حادثة واحدة من مآت الحوادث التي تقع في ساحة المحاكم وهي ان زوجا استحصل حكماً على مطلقته بالشكل والوضع الذى تقدم وصفه باستلام ولده منها وتكليلا لعمله نفذه بدائرة الاجراء فاحضرت الأم وولدها بالجبر حسب الأصول المتبعة في اليوم المعين لتسليمه « للأب » ولكنها ما ان دخلت المحكمة حتى ضجت بالبكاء والعويل فقصت ابهاء المحكمة وغرفها بالناس لمعرفة النبأ وتعطلت اعمال موظفي المحكمة واشغال المراجعين وبعد الاستفسار استنكر الجميع عمل هذا الرجل القاسي واخذوا يؤكدون بان عمر هذا الصغير لا يجوز فصله عن امه بتاتاً وعندها اخذوا يتوسلون بالأب لترك الطفل عند امه مدة اخرى وتتعهد بتسليمه بعدها مباشرة ويوضع بين الطرفين شرط جزائي يتعهد به اشخاص آخرون فلم يوافق وبقي مصراً على أخذ ولده منها متظاهراً بالعطف عليه وبعد كل هذا تفضل سعادة الحاكم وتدخل في الموضوع وبعد كلام طويل عريض وافق على ابقائه عندها لمدة سنتين بشروط كثيرة منها ان تتنازل له عن مهرها المؤجل والذي قدره ثمانون ديناراً وتنفقه طوال مدة السنتين وغيرها فوافقت على جميع الشروط وشكر الجميع للحاكم حسن صنيعه متعجبين من هذا المخلوق القاسي حتى على فلذة كبده .

وقد لاحظ المشرع العراقي هذه الناحية المهمة فعالجها بشكل وفق فيه بين المذاهب والآراء حول هذا الموضوع واضعاً مصلحة الطفل في المقدمة وذلك إذ جعل للقاضي الحرية في تقدير مصلحة الصغير بعد مدة الحضانة إذ نص في

(١) مذكرات الاستاذ حسين علي الأعظمي في النكاح .

في الصمت ، وباغاريد البلابل انتي يطيب لها ان تحتمي تحت ظله الوارف .

وقبل الختام اود ان اقول بانك رغم غيابك ، فقد استرحت ياعزيزتي من عالم شقونا به وذقنا منه تصاريف الالم ولكنك انسللت منه بهدوء فهنيئاً لك ، لان لك ربا احبك فاختزل حياتك ، واطلقك طائراً مرفرفاً في ملكوته ، وكل رجائي ان استمع الى انشادك واغاريدك كلما طرقتني الآلام ، وسقتني كؤوساً مزجت بمرارة الشقاء والفجيعة ...

يا وفاء ، ياغالية رعتك من الملائكة عيون .

البصرة — محمود محمد الحبيب